بليت بحساد أحاربهم

قال فيه وقد أراد الارتحال عن علي بن أحمد الخراساني:

[المنسرح]

لا تُـنْـكِـرَنَّ رَحِـيـلـي عَـنْـكَ فـي عَـجَـلٍ
فَـإِنَّـنِـي لِـرَحِـيـلِـي غَـيْـرُ مُـخْـتَـارِ(١)
وَرُبَّـمَـا فـارَقَ الإِنْـسَـانُ مُـهْـجَـتَـهُ
يَـوْمَ الْـوَغَـى غَـيْـرَ قَـالٍ خَـشْـيَـةَ الْـعَـارِ(٢)
وَقَـدْ مُـنِـيـتُ بِـحُـسَّـادٍ أُحَـارِبُـهُـمْ
فَـاجْـعَـلْ نَـدَاكَ عَـلَـيْـهِـمْ بَـعْـضَ أَنْـصَـارِي(٣)

حسدت على حياتي

يصف مسيره في البوادي وما لقي في أسفاره ويذم الأعور بن كروّس:

[الوافر]

عَـذِيـرِي مِـنْ عَـذَارَى مِـن أُمُـورِ
سَـكَـنَّ جَـوَانِـحِـي بَـدَلَ الْـخُـدُورِ(٤)

---

(١) يُخاطب الشاعر ممدوحه معتذراً لرحيله المفاجئ، إنه على عجل، فثمة أمر طارئ اضطرّه إلى الرحيل، لذا يطلب منه ألّا يجد في رحيله ما يحمل على الريبة والشكّ.

(٢) المهجة: الروح. القالي: المبغض، الكاره. خشية: مخافة. يتعلّل الشاعر بأن رحيله عن ممدوحه بالرغم عنه، فالمرء قد يُفارق روحه في ميدان المعركة مكرهاً، ولذلك فالشاعر يترك ممدوحه وهو مجبر على ذلك.

(٣) منيت: ابتليت. الندى: الكرم. الأنصار: المؤيدون والأصحاب. ولطالما شكا المتنبي من الحسّاد حيثما حلّ وارتحل، وقد يكون ثمّة من يحسده، ولكنه يتصوّر أن كلّ الناس يحسدونه على مكانته، يتعلّل بمحاربة الحسّاد له، ولذا فإنه يطلب من ممدوحه أن ينتصر له ويمدّه بعطاياه ليزيد من حسرة حسّاده ويكيد لهم.

(٤) العذير: المسبب للعذر والشكوى. العذارى: الأبكار. الجوانح: الضلوع. الخدور، الواحد خدر: المخدع ومأوى النسوة. لقد ضاقت الأحوال بالشاعر ممّا حمله على التذمّر والشكوى من رجل ضايقه، لذا فإنه في حال هجائه له يُفتش عمّن يلتمس له العذر في ما سيقوله في حقّ ذلك الرجل؛ فثمّة أمور عظام احتلّت واتّخذت من ضلوعه وقلبه مكاناً بدل النسوة الشاغل الحقيقي للرجال.

ومُبْتَسِمَاتِ هَيْجَاوَاتِ عَصْرٍ
عَنِ الأسْيَافِ لَيْسَ عَنِ الثُّغُورِ (١)
رَكِبْتُ مُشَمِّراً قَدَمِي إِلَيْهَا
وَكُلَّ عُذَافِرٍ قَلِقِ الضُّفُورِ (٢)
أَوَاناً فِي بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحْلِي
وَآوِنَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيرِ (٣)
أُعَرِّضُ لِلرِّمَاحِ الصُّمِّ نَحْرِي
وَأَنْصِبُ حُرَّ وَجْهِي لِلْهَجِيرِ (٤)
وَأَسْرِي فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ وَحْدِي
كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مُنِيرِ (٥)
فَقُلْ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا
عَلَى شَغَفِي بِهَا شَرْوَى نَقِيرِ (٦)

---

(١) الهيجاوات، الواحدة هيجاء: الحروب. يهدّد الشاعر بالحرب ويلتمس لنفسه عذراً في ذلك حيث تبتسم السيوف ببريقها بل ابتسام ثغور النسوة الجذّابة خلاف ابتسامة السيوف التي تفترّ عن الموت والدمار.

(٢) يقصد الشاعر بالتشمير الجدّ والمضي في الأمر. العذافر: القوي من النياق. الضفور، الواحد ضفر: الحبال. يفخر الشاعر بأنه قد مارس الحروب بجدّ وعزيمة لا تلين مستعيناً برجليه تارة وبالإبل القوية تارة أخرى.

(٣) أواناً: زماناً. القتاد: خشب الرحل. يصف الشاعر حالة التشرّد والترحال في سبيل ما يصبو إليه، وقد قسّم زمانه بين نزوله ضيفاً على البدو في صحرائهم، وآونة أخرى يستعين ببعير يتّخذه راحلة ومخدعاً له إذا رغب في النوم.

(٤) و (٥) حرّ الوجه: صفحته، الهجير: شدّة حرّ الظهيرة في فصل الصيف. الرماح الصمّ: الصلب منها، يصف الشاعر مغامراته؛ إنه يواجه الموت بشجاعة نادرة ويتصدّى للرماح في الحروب ويتعرّض لحرّ الهاجرة في فصل الصيف ويمشي في وحشة الليل البهيم وحيداً حيث لا أنيس ولا صاحب يتقوّى به كأنه إشعاعة نور تمزّق ظلمته.

(٦) ينعى الشاعر سوء حظّه، فرغم اجتهاده في طلب ما يودّ الحصول عليه، فإنه لا ينال =

وَنَـفْـسٍ لَا تُـجِـيـبُ إِلَـى خَـسِـيـسٍ
وَعَـيْـنٍ لَا تُـدَارُ عَـلَـى نـظـيـرِ (١)
وَكَـفٍّ لا تُـنَـازِعُ مَـنْ أَتَـانِـي
يُـنَـازِعُـنِـي سِـوَى شَـرَفِـي وَخِـيـرِي (٢)
وَقِـلَّـةِ نَـاصِـرٍ جُـوزِيـتَ عَـنِّـي
بِـشَـرٍّ مِـنْـكَ يَـا شَـرَّ الـدُّهُـورِ (٣)
عَـدُوِّي كُـلُّ شَـيْءٍ فِـيـكَ حَـتَّـى
لَـخِـلْـتُ ٱلْأُكْـمَ مُـوغَـرَةَ الـصُّـدُورِ (٤)
فَـلَـوْ أَنِّـي حُـسِـدْتُ عَـلَـى نَـفِـيـسٍ
لَـجُـدْتُ بِـهِ لِـذِي الْـجَـدِّ الْـعَـثُـورِ (٥)
وَلَـكِـنِّـي حُـسِـدْتُ عَـلَـى حَـيَـاتِـي
وَمَـا خَـيْـرُ الْـحَـيَـاةِ بِـلَا سُـرُورِ (٦)

= منه ما يسدّ رمقه، حتى ما يبدو في ظهر النواة لحقارته، لذا فعلى المرء أن يقول ما يحلو له ويتصوّر الحال التي وصل إليها الشاعر.

(١) يُدير الشاعر ناظريه بين البشر، فلم يعثر إلّا على خسيس نزلت به همّته إلى الحضيض، همّه الحصول على ما يُريد بشتّى الطرق المشروعة منها والممنوعة منها، ويجول نظره بين الناس فلا يجد له شبيهاً يتمتّع بطموحه وجراءته فلا يجد إلّا الجبناء ورغم ذلك فقد ارتقوا المناصب الرفيعة دونه.

(٢) الخِير: الكرم. ويتحدّث الشاعر عن مزاياه الحميدة؛ إنه لا يُنازع أحداً على شيء مهما عظم أو صغر، وهو بدوره لا يهتمّ بأيّ شيء فلو قبل لتنازل لمنازعه عن كلّ شيء سوى شرفه وكرمه؛ فهما رصيده في الحياة.

(٣) و (٤) يشكو الشاعر قلّة النصير يُعينه على تحقيق أحلامه وآماله، وفي المقابل كثرة حسّاده وأعدائه، وقد ابتلاه بهما دهره العاثر لذا يدعو عليه ليُبتلى بشرّ دهر ممّا هو فيه، وكلّ ما جرّه عليه عدوّ للشاعر حتى صار يتوهم الجماد الذي لا يُحسّ بأنه عدو له، فالتلال أوغرت صدورها فحقدت عليه وحاربته.

(٥) و (٦) النفيس: الغالي الثمن. الجدّ العثور، بكسر الجيم: الحظّ. شعور الشاعر بأنه محسود سيطر عليه طوال حياته، حتى في حال نجاحه؛ إنه على استعداد للتخلّي عن =

فَـيَـا ابْـنَ كَـرَوَّسٍ يَـا نِـصْـفَ أَعْـمَـى
وَإِنْ تَـفْـخَـرْ فَـيَـا نِـصْـفَ الْـبَـصِـيـرِ (١)
تُـعَـادِيـنَـا لِأَنَّـا غَـيْـرُ لُـكْـنٍ
وَتُـبْـغِـضُـنَـا لِأَنَّـا غَـيْـرُ عُـورِ (٢)
فَـلَـوْ كُـنْـتَ امْـرأً يُـهْـجَـى هَـجَـوْنَـا
وَلَـكِـنْ ضَـاقَ فِـتْـرٌ عَـنْ مَـسِـيـرِ (٣)

ما المجد إلا السيف والفتكة البكر

يمدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي:

[الطويل]

أُطَـاعِـنُ خَـيْـلاً مِـنْ فَـوَارِسِـهَـا الـدَّهْـرُ
وَحِـيـداً وَمَـا قَـوْلِـي كَـذَا وَمَـعِـي الـصَّـبْـرُ (٤)

= ما هو ذو قيمة ونفاسة لجاد به طواعية دون أدنى تردّد لمن كان ذا حظ عاثر؛ هذا في حال وجوده مقارنة بحالته، ولقد اكتشف الشاعر أنه حُسِد على حياته الخالية من أسباب التوفيق والنجاح، إنها حياة اختفت فيها معالم الفرح والسرور، فبدت محزنة خاوية من حسن التوفيق.

(١) و (٢) يصبّ الشاعر غضبه على ابن كروّس الذي فقد إحدى عينيه، وكان أعور، لذا فهو يُعيّره بأنه نصف أعمى احتقاراً ينمّ عن حقد دفين، والعور ليس بيد الإنسان، فيسأله بماذا تفتخر وأنت ما أنت عليه؟ ولقد تبادل العداء مع ابن كروّس لأنهما على طرفي نقيض، فالعدوّ ألكن لا يُحسن نطقاً فضلاً عن أنه نصف أعمى، بينما يتمتّع الشاعر بالفصاحة والبلاغة وسلامة النظر.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٦. يُخاطب الشاعر مهجوّه أنه لا يستحقّ الهجاء لخساسته، ففي هجائه علو شأنه، وهذا ما يرفع من قدره، والشاعر لا يرغب في الانحطاط إلى مستواه ترفعاً وأنفة.

(٤) إنه صراع بين قوّتين لا تتكافآن، الإنسان في وحدته وضعفه والدهر بخيله وجبروته وفرسانه، أما سلاح الشاعر فهو الصبر، والصبر عتاد سلاحه الاستمرار والمداومة بجدّ ليتمّ للمرء النصر في آخر الأمر إن أراد ذلك.